فى الاجتماع

كيف تختار الزوجة ؟

بقلم الاستاذ مصطفى جاد أبو العلا

دبلوم دار العلوم العليا

إن حسن الاختيار أو صحة الانتخاب، هو أساس الحياة الزوجية ، والحق الثابت لكل من الرجل والمرأة ، إذ عليه قوام المستقبل : فاما نعيم وهناء ، وإما ذل وشقاء ، وقد جرت العادة أن الرجل هو الذى يطلب الزواج ويختار الزوجة ، فالتبعة الأولى واقعة عليه ، وأول مايجب أن يوجه طالب الزواج نظره إليه إيجاد زوجة تضاهيه : عادات وأخلاقا وميولا، لأنها ستكون شريكة حياته ، والنفس بطبعها لاتألف إلا من كانت صفاته وعاداته تشاكل صفاتها وعاداتها ، ولا غرور فالاتحاد فى الخلق والطباع ، هو دعامة الحياة الزوجية .

وينبغى ألا يكون الباعث الأول للزواج تلبية نداء الشهوات، واتباع أهواء النفس، فقلما ينجح الزواج الذى يبنى على هذا الأساس ؛ ولكن النفس أمارة بالسوء ، لهذا ترى البعض يبنى اختياره للزوجة على كثرة المال ، أو وفرة الجمال ، وكلا الأساسين واهى القواعد ، والتعويل عليهما دليل ضعف الارادة وانحطاط النفس؛ فالذى يختار الزوجة طمعاً فى ثروتها ، يكفيه عاراً أنه لايختارها لذاتها ، بل لأمر يجعلها وسيلة لا غاية ، فلا يكون سعيه هذا إلا كسعى كل عامل من حلية الكسب ، أو طامع يبنى مجده وسعادته بما لا يملكه ، وإنى لذاكر لهذه المناسبة ماجاء فى هذا الصدد : بدائرة معارف القرن العشرين لتبين خطأ ذلك الرجل :

« إن لطالب الزواج أن يستقصى الأحوال الطبيعية الخاصة بالفتاة ، وما يرتبط بها من الأحوال والشروط الأخر ، كأن تكون جميلة مؤدبة متعلمة ، راغبة بصدق فى العمل ، على إقامة بناء الاجتماع العائلى ؛ أما الثروة فانى أعتقد أن سعادة الزواج لاتتم بمعناها الصحيح إلا إذا كانت ثروة الزوجة فضلها وعفتها وجمالها دون مالها ، فقد خلق الله الرجال قوامين على النساء ، أى عليهم القيام بحاجاتهن من مأكل ومشرب وملبس .

وفرضت الطبيعة على الرجال ذلك ، وطبع الرجل على أن يكون رئيس بيته وقائد أولاده، وسبب كل خير في أسرته، يسره أن يدخل بيته فلا يجد فيه متاعاً أو أثاثاً إلا وهو من ثمرات كدحه ونتيجة جده ، ولا يرى فيه أحداً إلا وهو عالة عليه في مأكله ومشربه وملبسه ، هنالك تتجسم له اللذة على قدر تجسم هذه العهدة الملقاة على عاتقه ، ويشعر بارتياح لا يشعر به إلا كل عالي الهمة شريف النفس . »

ونحن إذا أعرنا الرجل الذي يتزوج الغنية نظرة ، وجدناه يدخل بيته فيرى به متاعاً أو أثاثاً ليس شيء منه من ثمرة كده ، ثم يتأمل في امرأته وأبنائه فيراهم في غنى عنه ، فيشعر عندئذ أن وجوده والعدم سيان في نظرهم من جهة الاتفاق على مرافق المعيشة ، هذا الشعور وحده كاف لافقاده لذة الزوجية والأبوة بما لا يعوضه منها شيء آخر في حياته .

ومن جهة أخرى فان هذا الزوج يصبح في نظر زوجته مفقود الكرامة والرجولة ، فلا تنظر إليه باعتبار أنه عائلها والحامي لها ، بل باعتبار أنه واحد ممن تعولهم هي بمالها ، ويعيشون على حسابها ، هذا إذا كانت ذكية النفس عالية الأخلاق ؛ ولكنها إذا كانت منحطة الهمة ساقطة الاداب فانها تمن عليه بمالها ، وتظهر له في كل مناسبة أنها غنية عنه بذاتها ، وأن لديها من المال ما يكفيها ، فيكون مقامه محفوفاً بالاكدار ، مشوباً بالمنغصات ؛ وأما الذي يستهويه سلطان الجمال فهو يبني الرجاء على شفير هار ، لأن الجمال وصف زائل فضلا عن أن تأثيره في النفس لا يدوم وهو كما قيل « مرعى »

ولن تجد « مرعى » ممرعاً أبداً إلا وجدت به آثار منتجع

وما مثل أولئك الذين يقبلون على الزواج ، خصوصاً لسلطان الجمال ، إلا كالطفل الذي يستهويه جمال الفراشة فيقضي نهاره وكفاً وراءها في تنقلها من غصن إلى غصن ، حتى يعييه التعب فيقعد ملوماً محسوراً ، ولله در القائل :

والحسن في النفس لا في الوجه تبصره والحسن في الجيد أصباغ وألوان

فالذين يختارون زوجاتهم مدفوعين بعوامل الطمع ، أو الشهوة ، لا يصلحون للحياة الزوجية لأنهم عبيد شهواتهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من تزوج امرأة لمالها أو لجمالها أورثه الله ذلها » وقال : « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » .

وعندي أن الصفات التي يشترك فيها الزوجان وتصلح دعامة للاختيار ، هي الصفات النفسية قبل كل شيء ، ثم البدنية بعد ذلك . وأهم صفات النفس : الاخلاق ، والتربية ، والتقوى ، وسلامة الجسم من العاهات ، ويضاف في الرجل القدرة على المعيشة ؛ أما اشتراط الحسن فهو من الكماليات ، ولو أن النفس بطبعها ميالة إلى الجمال ، قال صلى الله عليه وسلم : « الدنيا متاع

وخير متاعها الزوجة الصالحة » وقال (نابليون): «المرأة الجميلة تسر العين، والصالحة تسر القلب». أولاها جوهرة ، والثانية كنز » ويكاد تأثير الاحتشام يضارع جاذبية الجمال.

فلا تختارها فتاة تميل إلى الاقتران بغيرك ، لأنه لا خير في زواج لا يكون أساسه الحب الخالص ، وألا تكون ميالة إلى الخلاعة واللهو والمداعبة ، فأنها تقلق راحتك بملاحظتها ومرافبتها ، وربما جرها العناد إلى طرق أبواب الفساد ، فتدنس بذلك شرفها وشرفك ، ولا تقترن بالمتكبرة التي لا يهمها سوى أمر نفسها ، فأنها ترى أن العالم وسكانه دونها عظمة ومجداً فتزعجك في كل وقت بعظمتها ، وتشمخ عليك بكبريائها ، فتكدر عليك صفو حياتك ، بل اخترها نشيطة محبة للعمل ، فأنها تساعدك في بعض أعمالك ، وتقوم مقامك اذا كنت مريضاً ، وابتعد عمن تأنف أو تأبى العمل بيدها في شئون البيت كالطبخ أو الغسل أو الحياكة ... الخ ، وأن تكون من سنك أو أصغر بقليل ، بحيث لا يكون الفرق بين سنيكما عظيما ، وقد كان الناس من قبل يستحسنون صغر الزوجة ، كي يربوها على ما يحبون ، أما الآن وقد صارت الفتاة تربى في بيت أبيها تربية لا تقل عن التربية اللازمة ، فمن الواجب أن تبقى في بيت أبيها إلى أن يتسنى لها درس واجبات الزوجة نحو زوجها على والدتها ، التي هي لها خير أستاذ ، ويجب أن تترك في بيت أبيها إلى سن الرشد ، بل بعده ، حتى تشعر بحقيقة الداعي إلى الزواج ، وما يتطلبه هذا منها ، ليس نحو زوجها فحسب ، بل نحو أولادها وأقربائها وأقرباء زوجها ، وأن تكون فتاة تحبها وتحبك ، وتتحقق من صدق حبها لك حباً ظاهراً ، فالحب الظاهر سر سعادة الأسرة ، ومصباح الهناءة والسرور ؛ وأن تكون متحلية بالآداب السامية والأخلاق الراقية ، فانها تسر القلب بآدابها ، وتشرح الصدر بمحاسن أخلاقها ، وتعود ذلك أبناءها ، وألا تكون جاهلة ، إذ من الحمق أن تسلم زمام المنزل لمن لا تدري من واجباتها شيئاً ، أو توكل إليها تربية أطفالها وتهذيبهم ، وهي لا تعرف للتهذيب معنى .

ولهذه المناسبة أقول :

إن المصريات لسن كلهن متعلمات ، وناشئة ذلك اختلاف آراء الآباء في تعليم الفتاة ، فلو آثرنا البنات المتعلمات على غيرهن لكسدت سوق غير المتعلمات وأصبحن عبئاً ثقيلا على الهيئة الاجتماعية ، ولساءت العقبى إذا تملكهن اليأس فخرجن عن حدود العفة والكمال ، وقد اشتدت الشكوى والحسرة من سلوك كثير من الفتيات المتعلمات ، وإنك لتراهن يمشين في الطرقات مشية الخلاعة ، ويتبجحن في كلامهن وأقوالهن ، ويترددن على محال الملاهي خليعات متبرجات ، فتبدو عليك علامات الاشمئزاز ، بل علامات الخجل من فتيات أمة أنت تنسب إليها ، وتود أن تبلغ مراتب الكمال بين الأمم ، نعم تخجل من بنات لم ترد بتعليمهن إلا

بلوغ الكمال ، فاذا بهن تزلن بنا إلى الحضيض ؛ لا أقول ذلك عن أولئك المتعلمات جميعهن بل إنى أعترف أن بينهن من عكف أهلوهن على تهذيبهن ، ومراقبة أخلاقهن ، فانتفعن بالعلم وبلغن به سبل الرشاد ؛ ولكنهن وياللأسف نادرات ونادرات جداً .

ومن ذلك يتبين لنا أن التعليم شيء والتهذيب شيء آخر ؛ وأنه لافائدة ترجى من المتعلمات إذا لم يجعلهن التهذيب ، وقد قصر الآباء والقوامون على الفتيات مهمتهم على تعليمهن ، ولم يلتفتوا إلى تهذيبهن ، فتحول إلى الشر ما أرادوه من الخير ، ولو تمشت هذه الحال بغير حاجز لتدهورت الأسر المصرية ، وسقطت فى مهواة لا قرارة لها ، وليس بخاف ما ينجم عن ذلك من سوء المصير ، بضياع روح الفضيلة فى الأمة :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أما الفتيات غير المتعلمات فانك لاتجد فيهن غالباً هذه الأعراض التى أصابت المتعلمات ؛ وذلك راجع إلى سهر المسيطرين على تهذيب أخلاقهن ، وإرشادهن إلى الطريق السوى ، وإنى لأفضل فتاة غير متعلمة — ولكنها مهذبة — على متعلمة غير مهذبة .

ويقيني ان يجتهد الآباء والمسيطرون فى تثقيف الفتيات وتهذيبهن حتى ينشأن نشأة صالحة ، لاتشوبها عيوب التقاليد المرجاء ولاتعتورها نتائج الاهمال الوخيمة « فبنات اليوم هن أمهات الغد » والفتاة فى منزل أبيها — كما قال الشيخ نجيب الحداد — « كالغصن الرطب تنميها كما تشاء ، وتنسها كطين الخاتم اللين ، تطبعها كما تريد ، فكل ما تغرسه فى روحها فتاة تربك إياه امرأة ، وكل ماتؤدبها به عذراء يظهر لك منها متزوجة »

ولما كان لكل رأيه ، وله حق المجاهرة به أقول :

إن السعادة كل السعادة فى اختيار « المتعلمة المهذبة » ، فمن الواجب إذن على الآباء أن يعنوا بتأديب بناتهم وهن فى سن الحداثة ، ويعلموهن العلوم والمعارف ، التى تجعلهن يستعملن جاهلهن فى الأمور الطيبة ، والتى لها مساس بوظيفتهن الهامة ، فالمرأة لها أهم وظيفة فى المجتمع الانسانى ، قال أحد كتاب الغرب : « أخلاق الرجال دائما نتيجة تربية الأمهات » فعليها يترتب نظام الكون ، وبها ينشأ الرجال الذين تملأ على الرؤوس إجلالا لذكر أسمائهم ، فوظيفتها إذن عظيمة ، لاسيما وهى قادرة على أعمال لايتيسر للرجال فعلها ، فيمكنها تربية الأطفال والعناية بأمرهم ، بخلاف الرجل فانه لايقوى ولايجد من نفسه صبراً على أداء ذلك .

وفوق خطورة وظيفتها ، فالانسان يتزوجها لكى يجد منها صديقاً نصوحاً ، ويصادف قلباً شفيقاً ، وإنساناً يسليه من همومه ، ويشاركه فى سرائه وضرائه ، فتتحقق آماله فيها إن كانت ممن تعلمن وتهذبن ، إذا أصابته مصيبة ذكرته بمصائب غيره ، فيخفف عنه هذا بعض الألم ، وإن وقع فى خطر كان له من مشورتها سبيل إلى النجاة ، وإن كان فى ضيق أوجدت له بحزمها مخرجاً منه .

أما إن كانت من اللاتى لم يذقن طعم التعليم والتهذيب ، فإن حياته تكون أمر حياة ، فإذا أتته مصيبة أعانته فى زيادة جلب الأذى له ، وإن كان مديناً أكثرته طلبا بلا رحمة ولا شفقة ، حتى يزداد دينه ويصبح مغلول اليدين راسفاً فى قيود الذل والهوان ، يأتى من محل عمله إلى بيته ليجد فيه الراحة ، وليرى من زوجه وجهاً باشاً وثغراً باسماً ، فيدخل البيت وإذا به يراه فى سكينة يحسبها من نتائج السرور وما هى إلا دلائل الغم والهم ، وما يكاد ينظر وجهها حتى يرى الكآبة بادية عليه .

هذه هى نتائج سوء التربية . وهذا هو بعض ما تجلبه المرأة الجاهلة غير المهذبة لزوجها من المصائب.

مصطفى جاد أبو العلا

المعرفة فى الخارج

تطلب « المعرفة » فى الخارج من المكاتب الآتية :

أم درمان (سودان) : المكتبة العربية ، ومكتبة البازار السودانى

الخرطوم (سودان) : مكتبة البازار السودانى ، ومكتبة النهضة السودانية

تونس (تونس) : المكتبة العلمية لصاحبها السيد محمد الأمين وأخيه طاهر

بغداد (العراق) : المكتبة العصرية لصاحبها محمود أفندى حلمى

الموصل (العراق) : المكتبة العصرية بشارع السراى

البصرة (العراق) : المكتبة العصرية : طريق السيف

مكة المكرمة (الحجاز) : الشيخ مصطفى محمد ينبور بالمسعى بجوار البلدية

تطوان (المغرب الأقصى) : المكتبة الادبية بشارع القيسارية

ومن حضرات وكلائنا فى :

سان باولو (البرازيل) : مكتبة فرح Lad.porto.Geral, 15

جزائر الهند الشرقية : الشيخ عمر على مكارم بسورابايا (جاوه)

سوريا وفلسطين : الخواجات فرج الله إخوان

عدن (اليمن) : الشيخ معروف عمر عقبه